الحجاب عند النساء في بلاد الرافدين وسورية عبر العصور القديمة

د. أحمد حسين المشعل*

الملخص

يتناول هذا البحث الحجاب عند النساء منذ العصر السومري حتى العصر الجاهلي، فقد كان غطاء الرأس في البداية يوضع رمزاً للزعامة والألوهية، ثم أصبح غطاءً تضعه النساء لتستر رأسها بالكامل عند الزواج. ففي العصر السومري كان يستخدم غطاء الرأس في مراسم الزواج وهو عبارة عن زخارف نباتية، وفي العصر الأكادي كان عصابة تلف بها المرأة رأسها، وهو غطاء رأس مصنوع أو مزين في الغالب بالذهب. وفي العصر البابلي القديم نجد غطاء الرأس من بين جهاز العروس. ومنذ العصر الآشوري الوسيط بدأت النساء يضعن حجاب على رؤوسهن في الحياة اليومية، وقد أكدت القوانين الآشورية الوسيطة على خروج النساء الحرائر إلى الشارع محجبات، وحرمت وضع الحجاب على العاهرات والإماء، كما أقرت على الرجل وضع الحجاب على أمته إذا أراد الزواج منها. وفي شمال سورية كانت تصور الإلاهات والكاهنات محجبات في المراسم الدينية. وفي شرق سورية كان لزاماً على المرأة المقدمة على الزواج أن تضع حجاب على رأسها. وكانت المرأة المحتشمة لدى العبرانيين تُمَيَز بالحجاب. وفي العصر الجاهلي تطور الحجاب وأصبح جلباباً يستر جسم المرأة بالكامل من الرأس إلى القدم.

كلمات مفتاحية: الحجاب ، غطاء الرأس ، الجلباب، القوانين، المرأة المحتشمة.

* عضو هيئة تدريسية في كلية الآداب والعلوم الإنسانية – قسم التاريخ - جامعة الفرات.

- مقدمة:

يعد الحجاب من أعلى المراتب شرفاً عند النساء بشكل عام، وهو نوع من الستر والحشمة. إذ كان في الأصل رمز إلى حياء وعفة المرأة. فالمرأة يجب أن تتحجب بين العامة، وكان ذلك يعد من العلامات المميزة لها في القوانين الآشورية الوسيطة. وتعتمد دراسة الملابس والحلي بشكل خاص على المكتشفات الأثرية من أشكال المنحوتات والدمى وقطع النقد المصورة. والجدير بالملاحظة هنا استخدام النساء لغطاء الرأس الذي نسميه العباءة التي كانت معروفة ومألوفة عند الآشوريين. والنساء في معظم العصور القديمة كن يتزين بنماذج من غطاء الرأس والجسم والعباءة بصورة يقرب مظهرهن من بعض النساء المعاصرات.

لقد تم اكتشاف قطع من الملابس وأغطية الرأس في مدينة أور الواقعة جنوب العراق وفي مدينة دورا أوروبس (آثار الصالحية في البوكمال) الواقعة على نهر الفرات، وقد أمكن التعرف على نوعياتها وألوانها وزخارفها والبعض من هذه الأقمشة وجد أنها مصنوعة من القطن وأخرى من الحرير ونماذج أخرى من الصوف ومن الذهب.

ومن ملابس الرأس الشائعة العباءة المقتصرة على النساء، والقبع أو الطربوش والجلباب، إضافة إلى نماذج أخرى تعرف بالصِدارة المصنوعة من قماش سميك ومطرز ومزين. واتخذت بعض النساء عصابة لزينة الرأس تشبه العمامة. وفي العصر الجاهلي لبست النساء البخنق والخمار.

- **أهمية البحث:** يسلط البحث الضوء على جانب مهم من جوانب اللباس المحتشم عند النساء عبر العصور التاريخية القديمة.
- **مواد وطرائق البحث:** اعتمدت في هذا البحث على المنهج التاريخي الاستقرائي بشقيه الوصفي والتحليلي.

أولاً – الحجاب في بلاد الرافدين:

1 – الحجاب عند السومريين:

تشخص أول إشارة توضع على الرأس على أنها رمز الزعامة، ومثل هذا الرمز عرف منذ الألف الثامن قبل الميلاد في وادي الرافدين. وتختلف مثل هذه الإشارة عن العلامات الأخرى التي كانت توضع على الرأس خلال الاحتفالات الخاصة، كالمراسم الخاصة بالزواج، التي من الممكن أن تكون عبارة عن زينة قوامها جزء من نبات أخضر يوضع على الرأس.

وبموجب المفاهيم المعروفة عند سكان وادي الرافدين، نعرف أن مجمع الآلهة في السماء، هو الذي وضع أول الأمر المظهر الخارجي للملكية والاحتفالات الخاصة بها، والذي ارتبط بصورة مباشرة أو غير مباشرة بالأصول الإلهية المعبودة. وكانت رموز الملكية حسب الأساطير المدونة بالمسمارية قد وضعت في احتفال خاص في السماء أمام كبير الآلهة المعروف آنو(*). ومن ضمن هذه الرموز الصولجان والتاج. ولقد تم نشر الفضيلة الإلهية بوساطة هذين الرمزين.

وكان تاج ولباس الرأس المقدس الموضوع على رأس الملك لبت عشتار (1934 – 1924 ق.م) من قبل الإله إنكي {إله الحكمة. سيد الأرض} رمزاً لشخص إنكي حسب الأسطورة المعروفة، والحالة نفسها تلاحظ على كل تيجان وألبسة الرأس، التي كان يمارسها كبير الكهنة ويضعها على رؤوس الملوك حين تتويجهم، فهي إذاً تيجان وألبسة وزينة للرأس خاصة في الأصل بالآلهة[1].

في عصر السلالات السومرية الباكرة(2900 – 2350 ق.م) لبست النساء شال على رأسها، إذ يصف أحد الطقوس ما يجب أن يفعله شخص ما ليودع خطيئته على روح أسلاف والده. فقد كانت تصنع دمية امرأة جميلة لتمثل هذه الروح، ورأسها كان معصوب برداء نسائي، وبعد أن يكتمل التطهير هو يجب أن يستبدل هذا الرداء بملابس نظيفة. ومن الواضح أن الرداء النسائي يخلو من الصباغ، الذي يمكن الإشارة إليه بمنشفة نظيفة[2].

إن بعض المقتنيات النسائية السومرية التي تم العثور عليها تظهر أن المرأة في العصر السومري كانت تغطي شعرها (الشكل 1). كما ظهرت في بعض النقوش الجدارية وشعرها مغطى بعمامة مدورة كعصبة سميكة. فالسومريون أول من عرف حجاب المرأة[3].

2- الحجاب عند الأكاديين:

اندمج الأكاديون في المجتمع السومري دون أن تكفي فترة حكمهم القليلة إلى التعديل والابتكار، ولم يظهر في الآثار التي وجدت أي تعديلات في القوانين الخاصة بالمرأة وبأي شيء يخصها بما فيه لباسها وتغطيتها لشعرها. إذ تبدو ألبسة الرأس خلال عصر ميساليم (2500 ق.م) والعصر الأكادي (2340 – 2198 ق.م) لدى الملوك شبيهة بألبسة الرأس التي يمثلها غطاء الرأس السومري المعروف والمزين لرأس

(*) آنو: إله الخلق، وقرينته أنتوم. مشتق من إله السومريين الأقدم آن. وهو إله السماء في بلاد الرافدين. وقد نتج عن زواجهما آلهة الأنوناكي قضاة العالم السفلي. يظهر آنو في احتفال أكيتو في بابل وأوروك ومدن أخرى حتى العصر الهيللينستي. انظر:

Jordan . M., Dictionary of gods and goddesses, second edition, New York, Factson file , Inc, 2004.p22.

(1) الجادر، وليد: الأزياء والأثاث، حضارة العراق، العصور القديمة، بغداد 1985م. ج4، ص 348، 355.

(2) Stol, M., Women in the ancient near east، Berlin 2016. P 19.

3 كونتينو، جورج: الحياة اليومية في بلاد بابل وآشور، ترجمة: سليم طه التكريتي، ط2، وزارة الإعلام والثقافة، بغداد 1986، ص 24.

ميسكاليم دوك (2450 ق.م) ملك أور[*] المصنوع من الذهب والذي عثر عليه في المقبرة الملكية في أور، ويبدو كأنه شعر متموج ومقسم إلى ضفائر دائرية مشدودة بإكليل وبخصلة من الشعر مثبتة في الأعلى[1].

ويبدو شعر النساء في نهاية الألف الثالث قبل الميلاد (الفترة التي تتوسط بين العصر السومري الأول والعصر السومري الذهبي الثاني) متموجاً ومزيناً في معظم الأحوال بعمة مدورة تشبه العصابة السميكة. وتبدو مثل هذه العمة بشكل أكثر طولاً وتشبه الدنية[2] المحززة على شكل حقول دائرية مزينة رأس الملك الأكادي نارام سين (2260 – 2223 ق.م)[3].

ومن الدلائل على حجاب النساء عند الأكاديين، الأسطورة التي تتحدث عن انتصارات سرجون الأكادي (2340 – 2284 ق.م)، الذي ادعى أنه أهان أو عامل بقسوة الرجال من ألاشيا (قبرص)، يقول: **(أنا غطيت رؤوسهم مثل امرأة)**. كما ذكر في نص طبي مكتوب باللهجة الآشورية العامية، حول امرأة آشورية في العمل وصفت: **(هي لا تتحجب وليست خجلة)**[4].

وفي المقطع المعروف من ملحمة جلجامش، عندما مات أنكيدو، وبدأ جلجامش يناشده ان يستيقظ، ولكن أنكيدو لم يرفع رأسه وتحسس قلبه ولكن ما من نبض، فبرقع كالعروس صديقه. عندما بكى جلجامش صديقه غطى وجهه مثل عروس. فالحجاب كان متبنى في طقوس الحداد والبكاء، وكذلك في زواج العروس إذ يغطى الرأس بلباس[5].

نجد حجاب للمرأة في الدعاوى القانونية السومرية، إذ كانت توضع على رأسها قبعة، وهذا كان يفعل قبل زواجها بفترة قصيرة وهو فن رمزي فقط، وجرت العادة أن يقوم الزوج بإزالة القبعة في ليلة زواجهم. يؤكد هذه الفكرة، التعبير الأكادي العروس المحجبة(kallatu kuttumtu) [6].

3 – الحجاب في العصر البابلي القديم:

---

[*] أور: تقع مدينة أور جنوب العراق، غرب مدينة البصرة على بعد نحو160 كم، على الضفة اليمنى لنهر الفرات على بعد 15كم، وإلى الشمال الغربي منها تقع الوركاء. ويعرف موقعها الحالي بتل المقير والتي تعني القار ((الزفت))، وذلك لكثرة القار في المنطقة المحيطة بالتل، وتسميها التوراة (أور الكلدانيين). وولي، ليونارد: أور الكلدانيين، ترجمة: أحمد المشعل وجاسم المحل، دار رسلان، دمشق 2021م، ص 7.

[1] الجادر، وليد: المرجع السابق، ص 355.

[2] الدنية: تسمية ذات أصول عربية، توضع على الرأس ويرتديها الرجال، أخذت شكلها من القلنسوة الفارسية، وهي عبارة عن طاقية طويلة ذات ألوان مختلفة ظهرت في العصر العباسي، ووضعت على الرأس بشكل الدن، يبلغ طولها (20 سم)، وقد اعتبرت من ألبسة القضاة المميزة التي تضفي عليهم الهيبة والوقار. شبلي، سلمى عاصم: التأثيرات الكلاسيكية على اللباس من خلال المكتشفات الاثرية والوثائق الكتابية في بلاد الشام "من القرن السادس إلى القرن الثالث عشر الميلادي"، (رسالة ماجستير غير منشورة)، قسم الآثار، جامعة دمشق 2008م. ص 143.

[3] الجادر، وليد: المرجع السابق، ص 356.

[4] Stol، M., op . cit, p26.

[5] حنون، نائل: ملحمة جلجامش، ترجمة النص المسماري مع قصة موت جلجامش والتحليل اللغوي للنص الأكادي، ط1، دار الخريف، دمشق 2006م، ص 181.

[6] k. van der torn., the significance of the veil in the ancient near east, studies Jacob milgrom, 1995. p 327.

في هذا العصر (2000 – 1595 ق.م) نجد غطاء الرأس من ضمن جهاز العروس، إذ نجد في النص الآتي رقم No.84، مهر لكاهنة مردوك، الناديتو[1] ليوير– ايساجيلا التي ستتزوج من ابن كاهن عشتار واراد– شماش، جاء في النص :(**أمة واحدة باسم بيلاداتوم، أمة واحدة باسم شارات– سيبار. ستة شيقل من الذهب كحلقات أذن، واحد شيقل من الذهب كحلقة من أجل مقدمة أنفها، أسواران (لليد) من الفضة بوزن أربعة شيقل، أربعة خلاخل (أساور قدم) من الفضة بوزن أربعة شيقل، عشرة ثياب، عشرون غطاء رأس، بطانية واحدة، معطفان، حقيبة جلد واحدة، ثور واحد، بقرتان**...الخ. **كل هذا يكون مهر ليوير– ايساجيلا الناديتو كاهنة مردوك بنت أويل– سين بن أمكور– سين قد أعطاها، وجهز لها لتدخل بيت أوتول– عشتار كاهن عشتار بن كو– إنانا، كزوجة لأبنه واراد– شماش)**[2].

يؤرخ هذا النص في عهد الملك عمي – ديتانا (1683 – 1647 ق.م)، الخليفة الثالث للملك حمورابي البابلي. ومن خلال هذا النص يبدو أن النساء البابليات في هذا العصر قد لبسن الحجاب، ولهذا نجد أغطية الرأس من ضمن جهاز العروس، كما يبدو أن لبس الحجاب كان لزاماً على العروس بعد الزواج، والدليل على ذلك عدد أغطية الرأس التي كانت ضعف عدد الثياب.

وفي نص آخر رقمه BE VI \ 101، مهر لكاهنة أخرى هي الشوجيتوم[3]، جاء في النص:**(أمة واحدة (باسم) تارام– أكاد ، عشرة ثياب لتلبس، عشرة أغطية رأس لتلبس، حجر رحى لطحن الدقيق، سريران خشب، خمسة كراسٍ متنوعة ...الخ . كل هذا يكون مهر داميقتوم الكاهنة – الشوجيتوم، بنت ايليماخي، الذي ايليماخي والدها وبيلتوم والدتها أعطياها وجهزاها لتدخل إلى بيت سين– ايشميني بن تاريبو)**[4].

يؤرخ هذا النص في عهد الملك عمي – صدوقا (1646 – 1626 ق. م)، الخليفة الرابع لحمورابي البابلي. يبدو أن النساء في بابل وآشور كن يلبسن الحجاب. وكل فتاة كان لديها عدد كبير من الحجب لتضعه على رأسها عند زواجها.

---

(1) الناديتو : كاهنة تكرس نفسها عادة لعبادة إله معين، غير متزوجة، لا يسمح لها بإنجاب الأطفال، وتقيم في معبد خاص بالنساء اسمه غاغو. المشعل، أحمد: العبودية في العصر البابلي القديم، دار آرام، دمشق 2020م، ص 106.

(2) Ranke،H., Babylonian, legal and business documents from the time of the first dynasty of Babylon, chiefly from Sippar, The Babylonian expedition of the university of Pennsylvania, series- A : cuneiform texts, volume. 6 , part.1, Philadelphia 1906.pp 26 – 27.

(3) الشوجيتو: ربما كانت الأخت الشابة للناديتو، التي تزوجت من زوج ناديتو مردوك بغرض أن تنجب أطفالاً للعائلة. وربما كانت امرأة حرة متبنية من قبل والد الناديتو. في قانون حمورابي الشوجيتو تذكر إلى جانب ناديتو مردوك، و قد نفترض أن أية إشارة إلى شوجيتو و ناديتو معاً، يبدو أنها ناديتو مردوك المقصودة. المشعل، أحمد: المرجع السابق، ص 107.

(4) Dalley ، S ., Old Babylonian dowries ، Iraq vol. XLII ، part 1 ،British School of archaeology in Iraq ، London 1980 . p 63 .

4- الحجاب عند الآشوريين:

يعد الحجاب عند النساء الآشوريات من أعلى المراتب شرفاً، فالمرأة المتزوجة يجب أن تتحجب بين العامة، وكان ذلك يعد من العلامات المميزة لها في القوانين الآشورية الوسيطة (1500 – 911 ق.م)، كما نصت بذلك المادة (40) من القوانين الآشورية اللوح الأول: **(لا يجوز لأي امرأة متزوجة كانت أم أرملة أم آشورية أن تخرج إلى الشارع العام دون غطاء على رأسها. النساء الأحرار يجب أن يتحجبن سواء كان الحجاب قميص أو عباءة، ولا يجوز لهن عدم تغطية الرأس. إذا كن في المنزل لا يتحجبن أما إذا خرجن إلى الشارع العام لوحدهن فعليهن لبس الحجاب. إذا خرجت محظية مع سيدها إلى الشارع عليها أن تتحجب، كما أن على القاديشتو[1](الكاهنة) المتزوجة لبس الحجاب، أما إذا لم تكن متزوجة فلا يجوز لها تغطية رأسها في الشارع. ولا يجوز للزانية لبس الحجاب، بل عليها أن تكشف رأسها، وكل من يرى زانية محجبة عليه أن يقبض عليها ويجلب معه رجال أحرار كشهود عليها ويقدمها إلى مدخل القصر، لا يؤخذ منها حليها، ولكن الرجل الذي قبض عليها يأخذ ملابسها وتضرب خمسون جلدة ويسكب على رأسها القير. أما إذا رأى رجل زانية محجبة وتركها ولم يجلبها إلى مدخل القصر يضرب ذلك الرجل خمسون جلدة بالعصي ويأخذ المُخبِر عليه ثيابه وتثقب أذنيه وتربطان بحبل خلف رأسه، وعليه أن يخدم الملك لمدة شهر واحد. ولا يجوز للأمة أن تتحجب وكل من يرى أمة محجبة عليه أن يقبض عليها ويجلبها إلى باب القصر، وتقطع أذنيها ويأخذ الرجل الذي قبض عليها ثيابها، أما إذا رأى رجل أمة محجبة وتركها ولم يجلبها إلى باب القصر واتهم بذلك وثبت عليه تلك التهمة، فسوف يضرب خمسون جلدة بالعصي وتثقب أذنيه وتربطان بحبل خلف رأسه، ويأخذ المُخبِر عنه ثيابه ويشتغل المتهم في خدمة الملك لمدة شهر كامل)[2].**

أكدت القوانين الآشورية على خروج النساء المتزوجات والفتيات اللاتي ينتمين إلى آباء أحرار محجبات من الرأس إلى القدم، ويبقى الوجه مكشوفاً فقط عند الخروج إلى الشارع العام، وأعفت من الحجاب الكاهنات اللاتي وهبن أنفسهن للمعبد ولم يتزوجن، وحرمت الحجاب على الإماء والعاهرات، وإذا لبسن الحجاب جردن من ثيابهن وضربن بالعصا وصب القار على رؤوسهن، وقضت القوانين على التبليغ على الإماء والعاهرات المحجبات، وكل من يرى أمة أو عاهرة محجبة يجب التبليغ عنها، وإذا لم يبلغ عنهن يتعرض هو للعقوبة. كما قضت القوانين عقوبة الإعدام على الزاني والزانية المتزوجين. وحرصت القوانين على سمعة المحصنات، وكافحت اللواط بشدة[3].

---

[1] القاديشتو: كاهنة تدعى في اللغة السومرية نوجيج ، وهي نوع من العاهرات المقدسات ، فالعهر المقدس كان شكلاً من أشكال العبادة و التقرب من الآلهة و يسمح لها بالزواج وإنجاب الأطفال. المشعل، أحمد: المرجع السابق، ص 106.

[2] سليم، سعيدي: القانون والأحوال الشخصية في كل من العراق ومصر (2050 – 332 ق.م)، دراسة تاريخية مقارنة، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة منتوري- قسم الآثار، قسنطينة 2010م، ص 178.

[3] كونتينو، جورج: الحياة اليومية في بلاد بابل وآشور، ترجمة: سليم طه التكريتي، ط2، وزارة الإعلام والثقافة، بغداد 1986، ص 33.

ومن طقوس الزواج التي أنفرد بها الآشوريون هو أن يضع الرجل الحجاب على عروسه بحضور شهود، ويعلن بخشوع أمامهم: (أنها زوجتي). كما جاء ذلك في المادة (41) من القوانين الآشورية الوسيطة: **(إذا أراد رجل أن يضع الحجاب على محظيته كان عليه أن يستدعي خمسة أو ستة من أصدقائه ويضع الحجاب على رأسها أمامهم قائلاً:(هذه زوجتي)، وتعتبر المحظية بعد هذا التصريح زوجة شرعية. أما المحظية التي لم تحجب أمام الشهود ولم يقل الزوج عنها (هذه زوجتي) فأنها ليست زوجة شرعية بل تبقى محظية، وإذا توفي الرجل ولم يكن لزوجته المحجبة أولاد فيعتبر أولاد المحظية ورثته)**[1].

لكن في عقد زواج من العصر الآشوري القديم(2000 – 1500 ق.م)، يصف امرأة بدقة بطريقة متناقضة. إذ قيل إن رأسها كان غير مغطى (qaqqassa pati)، لذلك لا تتحجب، يعني أن المرأة بيعت في الأصل من قبل عائلتها. من المحتمل هناك سبب آخر لماذا لم تتحجب، هو توضيح أن ثمنها لم يدفع بعد. وفي رسالة من تلك المنطقة نفسها نقرأ: إن العم أراد أن يضع الحجاب على فتاة متشددة، التي ربما كانت تعبير عام لتزويج الفتاة.

استخدم الفعل الأكادي (katamu) يغطي، عند وصف الطقوس الخاصة للزواج. ونلاحظ أن النساء كن يتحجبن في الحياة اليومية العادية، وقد استخدم فيما بعد الفعل (pasamu) يغطي، وأن النساء في آشور وإبلا وحلب (أي في الشمال والشمال الغربي من بلاد الرافدين) دائماً يلبسن الحجاب بعد زواجهن[2].

وكانت من ملابس الرأس الشائعة لدى النساء الآشوريات العباءة، والقبع أو الطربوش والجلباب (الشكل 2). وقد كشفت التماثيل عن الأزياء التي لبستها النساء في العصر الآشوري، إذ تظهر النساء وهن يتركن الكتف الأيمن والثدي عاريين، ويعتقد أن هذا الزي يرتدى فقط أثناء العبادة، ففي إحدى التماثيل تظهر امرأة برداء كأنه حجاب كامل، ويبدو الرداء في شكل عباءة يرتدى فوق الملبس العادي. وتصنع هذه العباءة من قطعة قماش بخصل مستطيلة الشكل، وبحافة عليا مقلوبة بحيث أن الخصل المسحوبة إلى الداخل تظهر في الأعلى كباقة زهور متجهة للخارج[3].

ويتميز لباس الرأس للنساء الآشوريات والبابليات بكونه غير معقد الزينة والملاحظ أن ظهور المرأة وشكلها عند الآشوريين والبابليين خلال الفترة المتأخرة كان نادراً. وكان لوالدة الملك أسرحدون (680–669 ق.م) تاج مليء بالزخرفة والزينة. أما لباس الرأس للوصيفات وحاشية الملكات من النساء كان مجرداً من أية زينة للشعر[4].

---

(1) سليم، سعيدي: المرجع السابق، ص 178.

(2) Stol, M., op . cit, p24.

(3) أندرية، فالتر: معابد عشتار القديمة في آشور، ترجمة: عبد الرزاق كامل الحسن، المؤسسة العامة للآثار والتراث، بغداد 1986، ص 34.

(4) يحيى، أسامة عدنان: تاريخ الشرق الأدنى القديم، دراسات وأبحاث، ط1، دار آشور بأنيبال للكتاب، بغداد 2015م. ص19.

ثانياً – الحجاب في سورية:

1 – الحجاب في شمال سورية:

في مدينة إيمار[*] السورية، ذات المنطقة الثقافية المختلفة عن الآشوريين، نجد حالات طقسية خلال الموكب الموجه للإله داجان {أشهر آلهة الخصب السورية} أنه كان يرتدي حجاب. كما أن هناك طقوس تشير إلى ارتداء الكاهنة العليا للحجاب لتكريسها كعروس. وتميز المرأة المتزوجة في مدينة إيمار من خلال تسريحة شعر مميزة. إذ يصور عقد تبني إمكانية تغيير الفتاة المتبناة في المستقبل لتسريحة شعرها بعد زواجها، وبإمكانها أن تصبح حبلى وتنجب أطفالاً. كانت الإلاهات تتحجب والمتحجبة منهن تلقب بـ نانايا، المعروفة كإلهة للجنس. ويدعى المعبد الذي عاشت فيه أولماشيتوم (مكان سكن لحجابها). هذا المعنى في هذا التعبير لا يزال غامضاً[1].

جميع هذه الجمل تخص الحجاب للعروس، وهم نتيجة لممارسة مشابهة في مكان آخر. ففي حالة طقسية من إبلا (تل مرديخ) في سورية، كان يوضع حجاب على الملكة سبع مرات.

إن النظر إلى وجه العروس المحجبة يشير إلى تحقيق درجة من الخصوصية والمودة، مع ذلك، يعد كشف غطاء العروس عن رأسها عنصر أساسي في احتفال العرس في العهد القديم، وقد افترض العهد القديم بشكل مماثل استخدام الكلمة (يعرف) ليدل على العلاقات الجنسية التي تشير في الأصل إلى قدوم العريس لمعرفة ملامح عروسه برفع حجابها قبل اكمال الزواج.

العريس العربي، غالباً يشاهد وجه عروسه للمرة الأولى في ليلة الزواج، وفي تركيا، الهدية التي يقدمها العريس لعروسه معروفة بشكل واضح كهدية رؤية الوجه[2].

كان الحجاب مستخدم عند الزواج في مملكة إبلا نحو سنة (2350 ق.م). ففي قائمة النفقات عندما زُوجَت الأميرة ماود Maud لروزيل Ruziil بن دوردولوم، وجد إشارة لثلاثة ثياب لأجل روزيل. بعد ذلك نحن نقرأ: **(ثم سكب الزيت على رأس ماود. استلمت ماود ثوب طويل (peplos)، وحجاب برتقالي. ومنزل دوردولوم)**. هذا يظهر أنه كان والد العريس هو الذي دفع النفقات. ما هو جديد هنا أن المسح بالزيت ذكر سوية مع الحجاب.

من المحتمل أن الحثيون كانوا متشابهين بالتحجب. ففي المادة (198) من القوانين الحثية نقرأ أن الرجل يمكن أن يعفو عن زوجته الزانية: **(هو قد يصفح عن حياة زوجته، لكن عندئذ يجب أن يصفح عن حياة محبوبها أيضاً وهو سيغطي رأسها)**[3]. المعنى أن المرأة يجب أن يسمح لها باستمرار حياتها، وأن

---

[*] إيمار: مدينة قديمة تقع في شمال سورية على بعد نحو 85 كم غرب الرقة. ويعرف موقعها الحالي باسم مسكنة على الضفة اليمنى لبحيرة الأسد على بعد نحو 100 كم شرق حلب. كانت عقدة مواصلات مهمة بين سورية وبلاد الرافدين في العصور القديمة. مرعي، عيد: رحلة في عالم الآثار، ط1، دار روافد، دمشق 2010م، ص 129.

[1] أندرية، فالتر: المرجع السابق، ص 35.

[2] يحيى، أسامة عدنان: المرجع السابق، ص 22.

[3] Stol, M., op . cit, p23.

تتحجب بشكل محتشم. خلع الحجاب مصور على مزهرية حثية تعود إلى سنة (1550 ق.م)، وجدت في تركيا عند قرية بيتيك قرب أنقرة. رجل وامرأة يظهران جالسان مقابل بعضهما بعضاً في غرفة. يد الرجل اليمنى قرب جبهتها تماماً ويرفع عنها الحجاب، الذي كان ملون باللون البرتقالي، وبيده اليسرى يناولها كأس لتشرب. يظهر الحجاب ليكون جزءً من الثوب الذي يلتحف جسدها بالكامل. الثوب الواسع الطويل حافل بذكريات المدن الإغريقية. في هذه المناطق يظهر أن مراسم الحجاب رسخت للزواج بشكل رسمي، مشابه للخطوبة الرسمية[1]. من المحتمل أن هذا التحجب مورس في الشمال فقط، وربما في عصر محدد فقط.

2 – الحجاب في مملكة ماري:

نجد في مدينة ماري[2] أنه قبل زواج ملك ماري زمري ليم (1782 – 1760 ق.م) من الأميرة الحلبية، كان هناك عملية تحجب للعروس. فالرسل الذين ذهبوا من ماري إلى حلب لجلب العروس للملك وضعوا الحجاب على رأس الأميرة العروس، إذ جاء على لسان الرسل: **(نحن استعجلنا، وهدية الزفاف التي سيدنا جعلنا نجلبها نحن جعلناها في الداخل، والحجاب وضعناه على البنت)**. وفي رسالة من ماري قيل لامرأة: **(غطي رأسكِ واخرجي)**. هذا يعني أن النساء في ماري وجب عليهن أن يتحجبن خارج المنزل[3]، هذا التفصيل التاريخي يظهر أنه كانت عائلة الزوج المستقبلي هي التي تضع الحجاب.

وهناك فقرة أخرى للملابس استخدمت في المراسم لترمز إلى تنظيم للزواج مشار إليها في رسالة من ماري. في وجه الحكم الإلهي أمة تقول: **(سيدي تحدث هكذا: بعد أن ألقى سيدي زمري – ليم غطاء ثوبه عليَّ)**[4].

3 – الحجاب عند العبرانيين:

هناك صور لنساء مهجرات من بلدان إلى الغرب من بلاد الرافدين تقدم دليل أيضاً للتحجب. يتوقع إشعيا[5] نهاية مخزية لفتاة من بابل، عندما هي ستعاني من مهانات متعددة بما فيها نزع حجابها:**(خذي**

---

(1) Ibid., p 24.

2 مدينة ماري: تقع آثار مدينة ماري اليوم في موقع تل الحريري في سورية ، الذي يقع على بعد نحو 110كم شرقي مدينة دير الزور، وعلى بعد 10كم غرب مدينة البوكمال ،على الضفة اليمنى لنهر الفرات.

(3) k. van der torn., op . cit, p 330.

(4) Stol, M., op . cit, p23.

(5) إشعيا: نبي يهودي عاش في القرن الثامن قبل الميلاد. وقد بشر بقدوم المسيح المنتظر من نسل داوود. وكان هذا النبي من أكبر شعراء كتاب العهد القديم، وله في الكتاب المذكور سفر يحمل اسمه. وهو أحد أسفار العهد القديم الرسمية، وينقسم إلى ثلاثة أقسام وضعت في عصور مختلفة، إلا أنها تجتمع في موضوع مشترك هو أمل الخلاص عن طريق المسيح. عبودي، هنري: معجم الحضارات السامية، ط2، دار جروس برس، طرابلس - لبنان 1991م. ص 86.

الرحى، ودقي الطحين، وأنزعي حجابك، واخلعي تنورتك، واكشفي أفخاذك، وخوضي في الأنهار، لكي يُشَاهَد تجردك، خزيك يُفْضَح)[1].

المرأة زيون أهينت، فقد عانت من نهاية مشابهة: **(السيد سيضرب قرعة المرأة زيون، السيد سيكشف جبهتها)**[2].

تفترض بعض الترجمات الأخرى مهانة مخزية. أما لباس الحجاب كان طبيعياً للمرأة المحتشمة العبرانية، إشعيا ربما اعتقد الشيء نفسه كان صحيح في بابل، لكن هذا لم يبرهن بعد. وفي حالة أخرى عندما طلب بواز الزواج من روث قالت له: **(مد تنورة عباءتك فوقي، لأنك تكون قريبي)**[3].

الكلمة العبرية (العباءة) هنا ترجمت حرفياً وتعني يغطي بعباءة، ويمكن أن تشير إلى غطاء واسع من الثياب. يعتقد على نحو واسع أنه بأداء هذه المبادرة أن بواز يظهر رغبته بشكل رسمي للزواج من روث. النبي حزقيا يتصور مخاطبة السيد في جيروساليم (القدس) مجازياً كإمراه شابة بالغة: **(أنا نشرت تنورة ثوبي عليك وغطيت جسدك العاري)**[4].

استخدمت الكلمة العبرية يغطي بعباءة هنا أيضاً، والتعبير المستخدم مرة أخرى ليشير إلى الزواج. ويرى ك. فان دير تورن في أداء هذا العمل اختلاف وتنوع في عملية التحجب، وتطور الاعتقاد إلى أن الرجل أيضاً باستخدام الحجاب لها أو بتغطيتها في ثوبه، يظهر أن المرأة الآن ملكاً له. علاوة على ذلك، الرجل الآن مسؤول عن إطعام وإلباس زوجته. لذا التحجب يصبح في المقام الأول (إشارة إلى التمييز)، والمرأة تأتي لتخص عائلة جديدة. الأهمية الثانوية هي حقيقة أن التحجب يعطيها مكانة اجتماعية، وعلامة طهارتها وعفتها، وبالإضافة إلى ذلك يفترض جمالها، فالرجال يحبون الاطلاع لرؤية ما هو مخفي.

وجهة النظر المقبولة، إن الحجاب كان في الأصل رمز إلى حياء وعفة المرأة للتمييز ويشهد على الوقار. وقد شبه إشعيا لبس الحجاب بـ (جعل جباهها عارية). وفي عبارة أخرى من العبرانيين: **(عندما ربيكا رأت زوجها المستقبلي إسحاق يقترب منها، هي أخذت حجابها وغطت نفسها)**[5]. ذلك لم يكن عمل شرعي، لكن ببساطة كان حياء وأدب.

ثالثاً – الحجاب عند أهل الحضر[6] وعرب العصر الجاهلي:

---

(1) الكتاب المقدس (العهد القديم، العهد الجديد)، ط1، دار الكتاب المقدس، القاهرة 2003م. سفر إشعيا 47:2 .

(2) الكتاب المقدس: سفر إشعيا 17:3 .

(3) Stol, M., op . cit, p 27.

(4) k. van der torn., op . cit, p 337.

(5) الكتاب المقدس: سفر التكوين 24:65 .

(6) مدينة الحضر: وتعرف أيضاً باسم عربايا أي مملكة العرب. تقع في شمالي العراق في محافظة نينوى بين نهري دجلة والفرات. سكن في هذه المنطقة قبائل عربية وعاش بينهم القليل من الآراميين. نشأت هذه المملكة في سنة 612 ق.م، وبعد سقوط الإمبراطورية الاشورية توسعت المملكة باتجاه البادية الشمالية لتصبح مملكة مستقلة في القرن الثاني قبل الميلاد واستمر حكمها حتى عام 241 م حيث سقطت تحت حكم الساسانيين. عبودي، هنري: المرجع السابق، ص 357.

لقد كانت استمرارية العناصر الحضارية الآشورية والبابلية واضحة لدى اللاحقين من التجمعات السكانية التي سكنت وادي الرافدين، وتلك التي كانت قريبة منهم. ولقد تبنى أهل الحضر وقبلهم الأخمينيون (550 – 330 ق.م) والبارثيون (247 ق.م – 224 م) عناصر ومواضيع فنية آشورية وبابلية وأوصلوها إلى الفترة الإسلامية، وكان دور الساسانيين (224 – 651 م) الذين حملوا عناصر فنية وحرفية نحو الغرب مهماً خلال توسعاتهم السريعة، وأهم ما يميز فنونهم آنذاك، أنها كانت تجمع العناصر الفنية للأقاليم التي هيمنوا عليها. وهكذا كانت حضارتهم ممثلة لجانب من حلقات الوصل بين الحضارات السابقة وبين الحضارة الإسلامية ثم حضارة القرون الوسطى الأوربية فيما بعد[1].

وتعتمد دراسة الملابس والحلي عند أهل الحضر خاصة على المكتشف من أشكال المنحوتات والدمى وقطع النقد المصورة. والجدير بالملاحظة هنا استخدام النساء لغطاء الرأس الذي نسميه العباءة التي كانت معروفة ومألوفة عند الآشوريين. والنساء في الحضر كن يتزين بنماذج من غطاء الرأس والجسم والعباءة بصورة يقرب مظهرهن من بعض النساء المعاصرات.

لقد تم اكتشاف قطع من الملابس في مدينة دورا أوروبس الواقعة على نهر الفرات، وأمكن التعرف على نوعياتها وألوانها وزخارفها، والبعض من هذه الأقمشة وجد أنها مصنوعة من القطن وأخرى من الحرير ونماذج أخرى من الصوف. وكانت من ملابس الرأس الشائعة الأخرى إضافة إلى العباءة المقتصرة على النساء، ما نعرفه بالقبع أو الطربوش، ومن نماذجه الشكل المخروطي، إضافة إلى نماذج أخرى تعرف بالصِدارة المصنوعة من قماش سميك ومطرز ومحلى أحياناً بقطع من الحجر الثمين أو بقطع من المعدن. واتخذت بعض النساء عصابة لزينة الرأس تشبه العمامة، وعليها كان يتم تثبيت قطع مضافة من الحلي والكلاليب المعدنية وقطع الحجر الثمين[2].

ومن أنواع أغطية الرأس التي شاع استخدامها في العصر الجاهلي:

أ – الخمار: لباس عربي شاع استعماله لدى النساء، ويمكن تعريفه بالنقاب التي تغطي به المرأة رأسها، وهو شبيه بالباندة التي كانت ترتديه المرأة الرومانية والبيزنطية، وهو لباس طويل يلقى على الكتفين من الخلف، تأثرت به المرأة المسلمة واستخدمته كحجاب رسمي تغطي به الرأس والجسد وذلك لحمايتها من العوامل الجوية وحجبها عن الغرباء[3].

ب – البخنق: وهو لباس ذو أصول أعجمية، يوضع على الرأس ويغطي العنق والصدر، وهو قماش تلبسه المرأة لتغطي به الرأس من الأمام والخلف. وعرف قبل الإسلام حينما كانت ترتديه بعض النسوة من ذوي السلطة والنفوذ، وقد وجد في العصر الروماني ولكن بشكل مختلف، وفي العصر البيزنطي نجده كان

(1) الجادر، وليد: المرجع السابق، ص 373.
(2) المرجع نفسه، ص 379.
(3) شبلي، سلمى عاصم: المرجع السابق، ص 150.

غطاء كامل، كان يغطي الرأس والجسد عند السيدة مريم العذراء، ولكن بألوان وزخارف شتى تتراوح ما بين الهندسي والنباتي، وقد ذكر عنترة العبسي البخنق بقوله:

فخرُ الرجالَ سلاسلٌ وقيود وكذا النساء بخانق وعقود

ولما جاء الإسلام حض المرأة على تغطية شعرها وجسدها أيضاً، فاتخذت البخنق كلباس لستر الرأس وملابس أخرى لغطاء الجسم. وقد شغل البخنق من مادة الحرير ذو اللون الأسود من دون أي زخرفة. كما فرض الإسلام الحجاب على نساء المؤمنين جميعاً عندما يخرجن من بيوتهن. إذ جاء في قوله تعالى: **(يا أَيُّها النَّبيُّ قُل لأزواجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ المُؤمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَان اللهُ غَفُوراً رَّحِيماً)**[1].

والجلباب نوع من اللباس المحتشم للمرأة، وهو لباس شرقي قديم خاص بالنساء، وهو عبارة عن ثوب طويل واسع، تغطي به المرأة رأسها وصدرها وجسمها إلى القدم، وذلك لحماية جسدها من العوامل الجوية وللتستر والحشمة. أخذ شكله من الشملة البيزنطية، التي كانت لباساً خاصاً بالكهنة وذوي النفوذ. وفي العصر الإسلامي أصبح لباساً عاماً ترتديه معظم طبقات المجتمع، وهو ملاءة المرأة التي تشتمل بها، وكانت جميع الجلابيب متشابهة في كافة العصور من ناحية وضعه على الجسم، إلا أنه يختلف في الزخرفة التي تزينه، فمنها ذو زخارف هندسية أو نباتية، وأقمشته قطنية[2].

---

[1] القرآن الكريم: سورة الأحزاب، الآية 59.

[2] الأصفهاني، علي بن الحسين (356 هـ - 966م): الأغاني، تحقيق: إبراهيم الإيباري، دار الشعب، القاهرة 1970م، ج 9. ص 173 – 174

- **خاتمة:**

من خلال ما سبق دراسته يمكن ملاحظة أن هناك كان تطور في استخدام الحجاب، وقد توصلت إلى النتائج الآتية:

في بداية العصور التاريخية كان الحجاب عبارة عن غطاء للرأس فقط، يوضع في الاحتفالات الخاصة بمراسم الزواج. ففي الأصل كان يلبس فقط في مراسم الزواج.

في العصر البابلي القديم أصبح لبس الحجاب لزاماً على العروس، إذ نجد عدد كبير من أغطية الرأس من ضمن جهاز العروس.

منذ العصر الآشوري الوسيط فصاعداً، أصبح لبس الحجاب ثوب طبيعي للمرأة المتزوجة. ويعد من أعلى المراتب شرفاً عند النساء الآشوريات. وقد حرمت القوانين الآشورية على المرأة الحرة أن تخرج إلى الشارع العام بدون لبس الحجاب، كما حظرت لبس الحجاب على الإماء والعاهرات. وفي هذا إشارة إلى نقطة تحول في تاريخ الحجاب.

في شمال سورية كان الحجاب رمزاً للألوهية. كما فرض لبس الحجاب على النساء المقدمات على الزواج.

كان الحجاب عند العبرانيين يرمز إلى الستر والعفة، وإذا أرادوا معاقبة امرأة كانوا يهينوها بكشف الحجاب عن رأسها.

اقتبس سكان الحضر العناصر الحضارية واللباس من البابليين والآشوريين، إذ تطور الحجاب عندهم فعرفوا القبع والطربوش التي تغطي الرأس فقط.

وفي العصر الجاهلي تطور لبس الحجاب إذ عرفوا البخنق والخمار التي تغطي الرأس والصدر.

عندما جاء الإسلام فرض الحجاب على النساء جميعاً، وحث المرأة على العفة والطهارة والاحتشام، فالمرأة المسلمة تتميز عن جميع نساء العالم بالحجاب الذي هو رمز أدبها وعفتها وحشمتها. والنوع الشائع هو الجلباب الذي يغطي جسم المرأة من الرأس حتى القدم.

المصادر والمراجع العربية والمعربة:

- القرآن الكريم.
- الكتاب المقدس (العهد القديم، العهد الجديد)، ط1، دار الكتاب المقدس، القاهرة 2003م.
- الأصفهاني، علي بن الحسين (356 هـ – 966م): الأغاني، تحقيق: إبراهيم الإيباري، دار الشعب، القاهرة 1970م، ج 9.
- أندرية، فالتر: معابد عشتار القديمة في آشور، ترجمة: عبد الرزاق كامل الحسن، المؤسسة العامة للآثار والتراث، بغداد 1986.
- الجادر، وليد: الأزياء والأثاث، حضارة العراق، العصور القديمة، بغداد 1985م. ج4.
- حنون، نائل: ملحمة جلجامش، ترجمة النص المسماري مع قصة موت جلجامش والتحليل اللغوي للنص الأكادي، ط1، دار الخريف، دمشق 2006م.
- سليم، سعيدي: القانون والأحوال الشخصية في كل من العراق ومصر (2050 – 332 ق.م)، دراسة تاريخية مقارنة، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة منتوري– قسم الآثار، قسنطينة 2010م.
- شبلي، سلمى عاصم: التأثيرات الكلاسيكية على اللباس من خلال المكتشفات الاثرية والوثائق الكتابية في بلاد الشام "من القرن السادس إلى القرن الثالث عشر الميلادي"، (رسالة ماجستير غير منشورة)، قسم الآثار، جامعة دمشق 2008م.
- عبودي، هنري: معجم الحضارات السامية، ط2، دار جروس برس، طرابلس – لبنان 1991م.
- كونتينو، جورج: الحياة اليومية في بلاد بابل وآشور، ترجمة: سليم طه التكريتي، ط2، وزارة الإعلام والثقافة، بغداد 1986م.
- مرعي، عيد: رحلة في عالم الآثار، ط1، دار روافد، دمشق 2010م.
- المشعل، أحمد: العبودية في العصر البابلي القديم، دار آرام، دمشق 2020م.
- وولي، ليونارد: أور الكلدانيين، ترجمة: أحمد المشعل وجاسم المحل، دار رسلان، دمشق 2021م.
- يحيى، أسامة عدنان: تاريخ الشرق الأدنى القديم، دراسات وأبحاث، ط1، دار آشور بأنيبال للكتاب، بغداد 2015م.

المصادر والمراجع الأجنبية:

- Dalley ، S ., Old Babylonian dowries ، Iraq vol. XLII ، part 1 ،British School of archaeology in Iraq ، London 1980.
- Jordan . M., Dictionary of gods and goddesses, second edition, New York, Factson file , Inc, 2004.
- K. van der torn., the significance of the veil in the ancient near east, studies Jacob milgrom, 1995.
- Ranke, H., Babylonian, legal and business documents from the time of the first dynasty of Babylon, chiefly from Sippar, The Babylonian expedition of the university of Pennsylvania, series- A : cuneiform texts, volume. 6 , part.1, Philadelphia 1906.
- Stol, M., Women in the ancient near east، Berlin 2016.

الأشكال

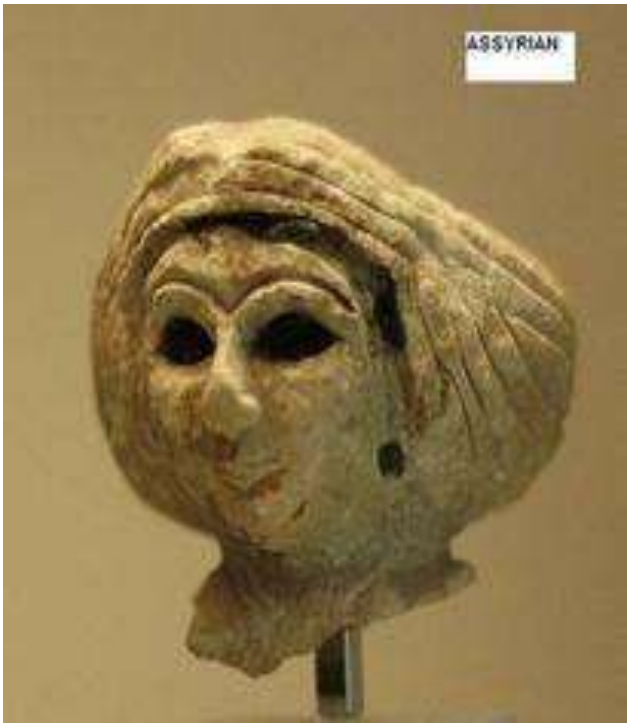

الشكل 1: غطاء الرأس عند السومريين. كونتينو، جورج: المرجع السابق، ص 31.

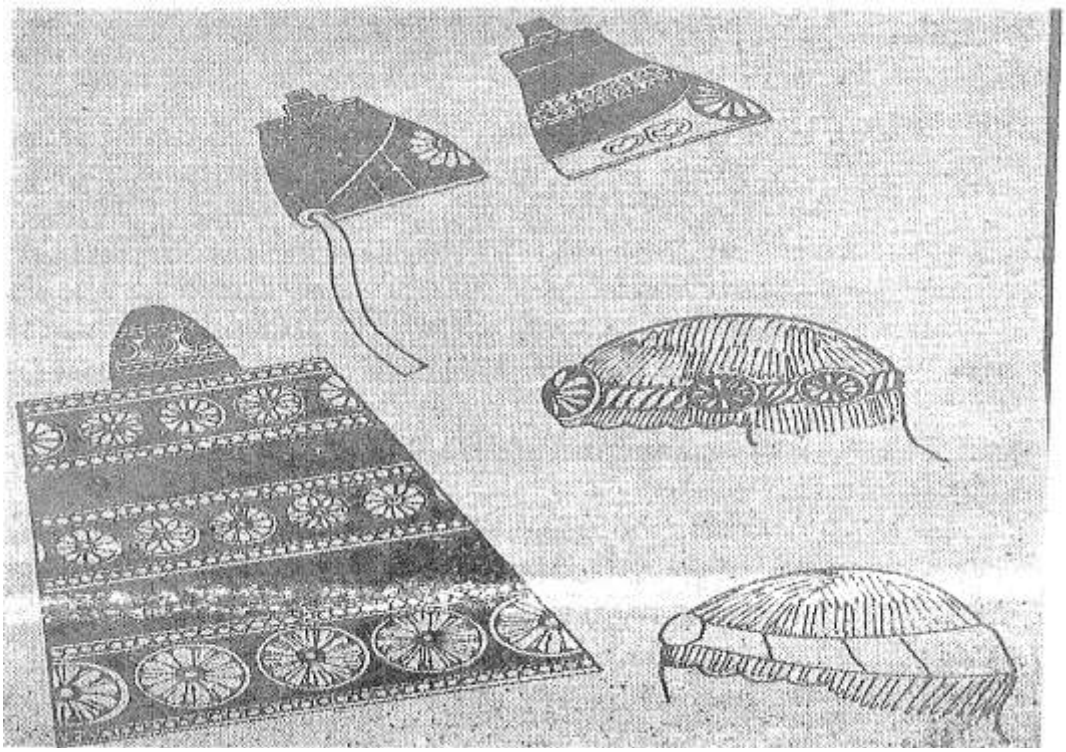

الشكل 2 : نماذج من ألبسة الرأس عند الآشوريين . الجادر، وليد: المرجع السابق، ص 360.

The veil at the women in Mesopotamia and Syria through the old periods

Dr. Al meshaal A

University of Al fourat – Department of history

Abstract

This research talk on the veil at women since the era Sumerian to era pre – Islamic, in the beginning was put cover of head mark for leadership divinity, then became a cover put the women to veil her head completely at marriage. In the era Sumerian was veil used in the marriage protocol and it garnish vegetarianism, and in era Acadian was gang the woman envelop her head and it cover of head made from the golden often. and in the old Babylonia era find veil among equipment the bride.

since the era middle Assyrian the women began put veil on their head in the daily of life, and declare the laws middle Assyrian on going out the women to street veiled, as ban put veil on the whores and female slave. As require on the man put veil on his female slave if he wanted to get married it. and in north Syria was image the goddess and priestesses veiled in the protocols religious.

In east Syria was imposed on the woman put before marriage to put veil on her head. and was the woman chaste at Hebrews distinctness by veil. and in era pre – Islamic development the veil and became jilbaab cover body of woman completely from the head to the foot.

Key words: the veil, cover of the head, jilbaab, the laws, the woman chaste.